# وقفة مع آية الإرهاب

قد تفاجأ أحياناً وأنت تتحدث عن الإرهاب بمن يعترض عليك ، ويقف في وجهك قائلاً : إن الإرهاب شيء أمرنا الله به في كتابه ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، ويستدلون بهذه الآية على ما يحدث من أعمال تخريبية وأحداث إرهابية قائلين : ها هي الآية تأمرنا بأن نرهب الأعداء بما نعده من القوة ؛ فالإخافة والإرهاب لأعدائنا أمر مطلوب في الشريعة .. فنقول : إن فهمكم للآية في واد ومضمونها الصحيح في واد آخر .

إن القصد من هذه الآية دعوة المؤمنين لأن يكونوا دائماً في مظهر القوة ، ومرتقى العزة ، ومنزل الكرامة ، وذلك يكون بالإعداد الدائم والترقي المتواصل في أسباب القوة ، ومراقي الفتوة، لا ليعتدوا بقوتهم على الآخرين ، ويخيفوا الآمنين ، ويذبحوا الأبرياء ، بل لتكون تلك القوة مصدراً لرهبة العدو منهم ، وخوفهم من قوتهم ، واحترامهم لسيادتهم ، فلا يطمعون في النيل منهم أو التعدي عليهم أو إضعاف شوكتهم ، لتكون تلك القوة لتوزيع الهداية على الناس ، ومد رواق الرحمة على الدنيا ، فإن ديننا هو الذي يأمرنا بعدم الظلم ، وينهاها عن الاعتداء ، ويحثنا على العدل ، ويدعونا للسلام ، ويوجب علينا حفظ العهود ، واحترام المواثيق ، والتحلي بالوفاء ، والتزين بالخلق، والمضي بالرفق ، والبعد عن العنف ، فكيف إذا كان

ذلك الاعتداء على أمة أكثر عدداً ، وأكبر عتاداً ، وأعظم قوة ، وأشد بأساً !! .

ثم إن المتكئين علىٍ تلك الآية الكريمة هم أشـــد الناس مخالفة لمضمونها ، وبعداً عن مكنونها ، وذلك بعدة مظاهر :

**أولها** : الله تعالى أمرنا أن نعد ما استطعنا من قوة ، وما يفعله هؤلاء هو إعـداد لكل أسـبـاب الضـعف ؛ لأن تلك الأعـمـال الإرهابيـة حتى التي توجه ضد الكفار فإن ضـررها وآثارها تعـود على المسلمين ، وهم أول من يكتـوي بنارها ، فكيف إذا كـان الاعـتـداء في البـلاد المسلمـة بحجـة أنه ضـد مـصـالح الكفـار ، فـيـسيء للمـسلمين ، ويضـعف قـوتهم ، ويرهق كـواهلهم بما له من تبعات .

**ثانيـهـا** : أن الآية تدعـو لإعـداد القـوة لإرهاب الأعـداء ، وهذه الأعمال يعود إرهابها وتخويفها على المسلمين الأبرياء ، وذلك بما يموت منهم من الضـحـايا ، وبما يحـدث من غضب الأعداء وانتقامهم لأنفسهم انتقاماً لا يفرق بين ظالم ومظلوم ، وبريء ومسيء .

**ثالثـهـا** : أن الله تعالى أمر بذلك على الأسلوب الجماعي ، فلم يقل : وأعد لهم أيها المسلم ، بل وأعدوا ، وهي كلمة تحمل في طياتها ضرورة الجماعة ، وأهمية الوحدة ، ووجوب التعاون ، أما ما يقوم به هؤلاء فهو سبب للفرقة ، وتشتيت للألفة ، وخرق للمودة ، وأساس للإضعاف .

إن أهم مظاهر القـوة هو في السـعي لتـوحـيـد المسلمين ، والاجـتـهـاد لجمع الكلمـة ، ورأب الصـدع ، وبث روح التعـاون والتآخي ، فإن الجهود المتناثرة ، والأفكار المتناحرة ، لا تثمر قوة، ولا تجلب نصراً ، ولا تخيف عدواً ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [الأنعام : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ . [الأنفال : ٤٦]

إن الإرهاب المذكور في الآية المقصود به إحداث الرهبة في قلوب الأعداء من الإسلام وأهله ، فلا يطمعون في حربه ، ولا يتطلعون لإضعافه ، ولا يعترضون طريقه .

**رابعهـا** : أن المقصود إرهاب من تبينت عداوته ، وظهر مكره ، أما ما يرتكب من أعمال العنف فإنها إنما تسلط على العُزَّل ، وتوجه للأبرياء ، ويذهب ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ ، وذلك ما يأباه الإسلام حتى في القتال الحقيقي والجهاد المشروع ، فكيف به في الاعتداء .

**خامسها** : لم يقل تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تقتلون به عدو الله وعدوكم ، أو تدمرون به ، أو تبيدون به ؛ لأن القتل والإبادة ليست هدفاً في الإسلام ، بل على العكس من ذلك : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ﴿ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي

الدّين ﴾ ، ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » . [أخرجه البخاري ومسلم]

إن هذه الآية دعوة جلية إلى إعداد القوة أولاً ، القوة بمفهومها الواسع ، القوة الأخوية ، القوة الإيمانية ، القوة الحربية ، القوة العلمية ، القوة الاقتصادية ، القوة الحضارية ، القوة الفكرية ، وأن توجه تلك القوة فيما يرضي الله ، وعلى منهج رسول الله ﷺ ، لتكون قوة لنصرة الضعيف ، وهداية الحيارى، وإنقاذ البشرية ، وإنصاف المظلومين ، ونشر نسائم الرحمات على العالمين ، قوة تبني ولا تهدم ، وترفع ولا تخفض، وتعدل ولا تظلم ، وتؤمن ولا تخيف .

إن القوة عنوان الريادة ، وأساس السيادة ، وطريق القيادة، بها تزرع المكانة، وتبث المهابة ، وتحفظ الجلالة ، وتكون الخشية، ومن لا قوة له لا قيمة له . والقوي مرهوب الجانب ، محفوظ الكرامة ، نافذ الإرادة ، يحترم نهجه ، وتسمع كلمته ، وتنفذ عزيمته، وتقبل حجته، وتراعى مصالحه ، ويبجل رأيه ، ويخطب وده . قوله مسموع ، ورأسه مرفوع ، وحكمه نافذ .

بالقوة تقام الدول ، وتنشر المبادئ ، وتحفظ الحقوق ، وتصان الحرمات ويقوى البنيان ، وتوطد الأركان ، وتعز البلدان، ويحمى الملك ، ويحرس المجد .

ولقد كانت أمة الإسلام أمة قوية الجانب ، مرهوبة المكان، ولم تكن قوتنا مجرد جيوش جرارة ، وسيوف بتّارة، وفتوح

عسكرية للمدن والقلاع ، تزول إن زالت الجيوش، وتذهب إن ذهبت القوة ، بل كانت قوتنا وفتوحنا قبل ذلك فتوحاً للعقول ، وتحريراً للقلوب ، بقيت وستبقى ما بقي الزمان ، وسطعت النيران ، لقد أشرقنا بإسلامنا على كل أرض ، وسطعنا بإيماننا في كل صقع ، إنها قوة الإسلام، وهيبة الإيمان ، وهداية الرحمن.

لقد كانت قوة المؤمنين قوة نيرة ، وعزيمة خيرة ، وهمة ماجدة ، أسعدت البشرية ، وأفادت الإنسانية ، قوة أحيت النفوس ، وأبهجت القلوب ، وآنست الضمائر ، وأنارت البصائر، وطمست معالم الظلم ، وبددت مراتع الجور ، قوة نشرت العدل ، وبثت الطمأنينة ، ورفعت الهمم ، وطردت الغفلة . لم تكن قوة لغرض السيطرة، ومجرد الهيمنة واستعراض العضلات ، وأكل الضعفاء ، وقتل الأبرياء ، وزرع الشحناء ، ونهب الخيرات ، وابتزاز الثروات، بل هي القوة الربانية ، والهمة الإيمانية ، والعزيمة الإنسانية ، تعلم الجاهل ، وتنبه الغافل ، وتنشر العلم ، وتنبذ الجهل، وتعين الضعيف ، وتنصر المظلوم ، وتغيث الملهوف ، وتكسب المعدوم ، وتعز الذليل ، وتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، هكذا كانت قوتنا ، وهكذا كنا يوم أن كانت الدولة دولتنا ، قوة في عدل ، وشدة في لين ، وحزم في رفق ، وعزة في تواضع فلما أن ضيعنا مبادئ العزة ، وهجرنا أسباب القوة ، وجفونا دروب الهمة ، ورضينا بالزرع ، وأخلدنا إلى الأرض ، وأخذنا بأذناب البقر ، واستسغنا الذل واستمرأنا

الضعف ، وتعودنا على الهوان ، سلط الله علينا من لم يخفه فينا ولم يرحمنا ، ففرضوا قوتهم ، ونشروا هيمتنهم ، فأذلوا عزتنا ، ونكسوا رؤوسنا ، ومزقوا شملنا ، وهدموا قوتنا ، وانتهكوا حرماتنا ، وخطفوا مقدساتنا ، ونشروا الرعب في صفوفنا ، وأصبح الرأي ما يرون ، والأمر ما يأمرون ، والرضا ما يرتضون .

فمن أوجب الواجبات علينا أن نبحث عن أسباب القوة، ونتلمس طرق الرفعة ، ونجتهد في استعادة القوة ، وليس الطريق إلى ذلك بأعمال فردية طائشة ، وتصورات وهمية خاطئة ، وأعمال عنيفة جائرة ، بل بالعقل ، والحكمة ، والصبر ، والعلم، والتعاون ، والتآخي ، والاعتصام بحبل الله تعالى .

ولقد تاهت بعض الأمم اليوم بقوتها على الناس ، ورأت أنها أخذت بزمام القوة ، وأمسكت بخطام العزة ، فالرأي رأيها ، والأمر أمرها ، والحكم حكمها، تتبجح بقواتها، وتباهي بآلاتها، وتتحدى بعددها وعتادها ، ولكنها قوة عابرة ، وهيمنة مؤقتة ، وسلطان خادع ، لأنها قامت على الظلم ، وبنيت على الجور ، وأسست على الغدر ، تكيل بمكيالين ، وتزن بميزانين ، كم دمر بأسبابها من أمم ، وكم قتل من بشر ، وكم انتشر من مرض ، وكم أضيع من حق ، وكم ظلم من شعب ، وكم شرد من أطفال، وكم انتهك من أعراض ، وكم أهينت من كرامات ، وكم سلبت من ثروات ، إنها قوة ثوبها الكبر ، ودستورها الظلم، وعنوانها المكر ، ومنهاجها الكفر : ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [الطارق : ١٧] ، ﴿**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ**

الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ . [البقرة : ١٦٥]

إن القـوة الناجـحـة ، والهـمـة الرابحـة هي التي تجـمع قـوة الجسد وقوة الروح، وذلك ما تميزت به قوة المسلمين في ماضيهم .

ملكنا فكان العـــدل منا ســـجـيــة
فلمــــا ملكتم ســـال بالدم أبـطح
وتســـتــمـــرئون الظلم فـينا ونحن من
غـــدونا على الدنيـــا نمن ونصــــفح
فــحـــســبكم هذا التــفــاوت بيننا
فـكـل إناءٍ بالذي فــــيـــــه ينضح

إن قوة أعداء الإنسانية اليوم هي قوة الجسد ، قوة العدد، قـوة العـتـاد ، ولكن الأرواح خـربة ، والقلوب مـيـتـة ، والأنفس متهالكة ، والضمائر مهترئة : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ .

لقد سبقتها أمم كثيرة غرتها قوتها ، وأعجبتها كثرتها ، فلما حادت عن الحق ، وتألت على الدين ، وحاربت الفضائل ، واستكبرت في الأرض ، صب الله عليها بأسه، وأنزل بها مقته : ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ .
[الرعد : ٣١]